

بيروت سيدة البحر

(١)

لَمْلَمْ حَطَامَكَ يَا قَدْرُ
وَادْخُلْ عَلَى نَفْسِ الْمَمْرُ
”بَيْرُوتُ نَهَضَتْ مِنْ رُقَادِهَا تَحْتَ شِبَاكِ الْقَمَرِ
نَفَضَتْ عُبَاءَ حَزَنِهَا الْمَنْسُوجِ مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ
حَفَرَتْ خَنَادِقَ عَشِقِهَا لِلْمَوْتِ لَا تَتَوَيَّ السَّفَرِ
وَقَفَّتْ عَلَى أَقْدَامِ عَمَلِقِ يُحَارِبُ فِي الْحُفْرِ
لَا يَرْهَبُ الْقَصْفَ الْمُدْوِيَّ مَنْ تَرَعَرَعَ بَيْنَ أَحْضَانِ
الْخَطْرِ

رَضَعَ الحَلِيبَ مع الدُّخَانِ .. مع الشَّطَايَا والشررِ
يَأْتُونَ في النِّصْفِ الأَخِيرِ .. يُحَطِّمُونَ البَابَ ..
يَقْتَحِمُونَ غُرْفَ النُّومِ
يَقْتَطِفُونَ أَزْهَارَ البَطُولَةِ في الصَّغْرِ .

(٢)

وَبِيرُوتٍ مَقْبَرَةَ الغَزَاةِ مِنَ التَّتَارِ
بِالْأَمْسِ أَيْقَظَنِي هَدِيرُ المَدْفَعِ المَنْصُوبِ في "الجبل"
الأغرِ

لَا تَتَّطْفِي يَا شَمْسَ أَيْلُولَ الْجَدِيدِ
وَمِنْ حَزِيرَانُ الْقَدِيمِ تَعُودُ أَشْتَاتُ الذِّكْرِ
فِي كُلِّ عَامٍ مِحْنَةٌ كَبْرَى تُضَافُ إِلَى الْمَوَاعِظِ وَالْعَبْرِ
تَتَشَابَهَ الْأَشْيَاءُ فِي أَسْمَائِهَا
رُغْمَ اخْتِلَافِ الْأَصْلِ فِي شَتَّى الصُّورِ
بَيْرُوتُ.. هَلْ عُدْنَا بَشَرُ
نَوْعٌ مِنَ الْأَسْفِنَجِ يَمْتَصُّ الدَّمَاءَ.. وَفِي الْمَعَارِكِ
يَعْتَصِرُ

شجرُ الصنوبرِ عاشَ آلافَ السنينِ على الجفافِ بلا
أثرٍ

شعبٌ تهدجَ صوتهُ
من فِرطِ ذلِّ الانحناءِ تقوَّسَ الظهرُ انكسرُ

(٣)

بيروتُ سيِّدةُ الحديثِ إذ تحلَّتْ للسمرِ
بيروتُ مصيدةُ العدوِّ إذا أحاطَ بها الغجرُ
بيروتُ ترسمُ باللهيبِ على غلافِ زماننا: أرضُ
العروبةِ في خطرٍ
أرضُ العروبةِ في خطرٍ

"بيروت" تكتب بالشواظِ على جلودِ بناتنا أقسى عبارات
الْحَذَرِ

"بيروت" تحفر في عقولِ شباننا: "كف الأذى.. غضُّ
البَصْرِ"

بيروتٌ تحتضنين ألفَ مقاتلٍ.. تلدين ألفَ مجاهدٍ
وخصوبةُ الرَّحِمِ الجريحِ تساقطت أحلى ثمر
ولدت صبايا يرجمون مجنزراتِ الموتِ - رجماً
بالْحَجَرِ

يترقبون الحربَ تزحف من هنا

يَسْتَقْبِلُونَ الْمَوْتَ يَأْتِي مِنْ هُنَاكَ
وَمِنْ هُنَا وَهُنَاكَ نَلْتَقِطُ الْإِذَاعَةَ وَالْخَبْرَ

(٤)

هَذَا زَمَانُ الصَّمْتِ فِي وَقْتِ الْكَلَامِ يَنْمُ عَنْ بَعْدِ النَّظَرِ
هَذَا زَمَانُ الْعَزْفِ نَفْسَ الْأَغْنِيَاتِ .. يُعِيدُهَا نَفْسَ الْوَتْرِ
هَذَا زَمَانُ الْإِنْتِظَارِ لِمَوْلِدِ الْبَطْلِ الْجَدِيدِ الْمُنْتَظَرِ
زَمْنُ التَّمَارُضِ بَعْدَ حَزْمِ حَقَائِبِ الْمَتَطَوِّعِينَ إِلَى
الْقِتَالِ .. إِلَى السَّفَرِ

زمنُ العبورِ على الخرائطِ والصُّورِ
زمنُ القتالِ على الموائدِ.. والنقاشِ المختصرِ
زمنُ التحديِّ والتصدِّيِّ والصمودِ المبتكرِ
شعبي تمزقٌ وانشطُرُ
مَنْ كان يحلمُ بالسَّلامِ.. هوى به من منحدرِ
قطعِ الطريقِ على المُجاهدِ حين حاربَ وانتصرِ
في أوجِ فرحِ الانتصارِ رمى سلاحه واندحَرَ
ما ماتَ مقتولاً ولكن شربَ سماً.. فانتحرُ

(٥)

بيروت.. سيدة البحر
بيروت زرع لن يموت بلا مطر
ينمو على الأرض اليباب
يمتص لهب القاذفات إذا تصاعد واستعر
كالمجد.. سنبله إذا شربت دم الثوار تزهو بالكبر

يونيو ١٩٨٢ (صحيفة الاتحاد)